الأولاد الذين يتسابقون بين أرجل المارة في الحديقة فلا تلمحهم العين حتى يتواروا عنها ، كأنهم رِجلٌ من الجندب . بعضهم لا قبّعات على رؤوسهم ؛ ولا قمصان ، بل آثار قمصان ، تستر أبدانهم ؛ ولا أحذية ، بل بقايا أحذية ، تحمي أرجلهم الصغيرة من النار الكامنة في الإسفلت تحتها . في يد كل منهم صندوقة صغيرة تحوي فرشاة وبضع علب تنكية وخرق قذرة .

بويا مستر ؟ بويا ؟

حذائي ليس بحاجة إلى التنظيف . لكن هذا الولد اليوناني أو الإيطالي أو البولندي يخالفني في الرأي . وهو أعلم بحاجات الأحذية مني . لذلك أكبّ على حذائي ينظفه غير آبهٍ بمشيئتي على الإطلاق .

امسح يا ولد ! لا بأس ! أنت صورة الله ومثاله ، فيا للتنين الذي مسخك منظفاً للأحذية لأن في جوفه عيالاً لا رزق لها إلا من كدّك وكدّ إخوانك من ذوي الخرقة والفرشاة . فالمجد لك . والمجد لهم . وليكن اسم التنين معظماً من الآن إلى أن يقيّض الله له جاورجيوسه .

في الحديقة طائفة قليلة من الأشجار الهزيلة التي كيفما التفتت رأت نفسها غريبة التربة والديار . تحيط بها من الجهات الأربع جبال من الحجر والحديد هي بنايات تتسابق صعوداً في الهواء . هناك بناية « المتروبولتن » تتوّجها قبّة عالية . وتزين